مهزلة تحت ستار مسرح ممزق

بقلم أمين صالح

اصدقائي الطيبين .. صديقاتي الطيبات .

عندما يكون المرء وحيدا ، منعزلا تماما عن العالم المحيط به ، في مكان موحش وكئيب ، في زنزانة ضيقة خانقة ، بعيدا عن الشمس والقمر والشوارع والناس والازقة الحزينة ، بعيدا عن البحـــر والنخيل ، بعيدا عن كل شيء ..

عندما يكون المرء في هذا الموقف ، تتحول كل خلاياه ، كـــل انفاسه ، كل اصابع قدميه ويديه ، كل قطرات دموعه ، كل نبضـات قلبه ، كل ... الى أقلام .

أقلام تخط الحرف الحزين وترسم اللوحة الشعرية .

أقلام تفضح الزيف وتعري الوجوه في الحفلات التنكرية .

أصدقائي الطيبين .. صديقاتي الطيبات .

لقـد قـررت أنـا ..... المنفـي منذ ست سنوات ، أن انسى تفاصيل محاكمتي على جدران هذه الزنزانة الرطبة .

سؤال : ست سنوات . ألا تعتقد بأن القرار جاء متأخرا ؟

جواب : لا اطلاقا . القضية ليس لها زمن محدد او وقت معين. ليس لها تاريخ . انها هي هي .. لم تتغير . لم تنسلخ عن شمسنا ، عملنا من اجلها مرة وسنعمل من اجلها في المرات القادمة .

سؤال : ما فائدة اعادة التفاصيل الى الاذهان مرة اخرى مـع ان الصحف قد نشرتها كلها ؟

جواب : الصحف المحلية اضافت مسمارا آخر في جثة الحقيقة المصلوبة على ابواب القلاع والحصون . وانا احاول نزع كل هـذه المسامير ، حتى تبدو الحقيقة في صورتها الاصلية وليست فـــي الصورة الحالية المزيفة .

لست متآمرا او فوضويا او مشاغبا . أنا انسان .. أبحث عن حـــريتي المفقودة في قصور الطغاة وتحت عجلات الكادبـــلاك والرولزرويس .

أصدقائي الطيبين .. صديقاتي الطيبات .

والآن لنبدأ في عرض التفاصيل . بعد دقيقة سنرفع الستار .

صوت ١ : خرجت النمل ـ يوما ـ تبحث عن السكر . تغني .

آه .. من يطعم الجياع

آه .. من يكسو العرايا

في ليالي الشتاء الباردة ؟

صوت ٢ : الامير يتوسد فخذي الاميرة

يمد يده ليقطف القمر من صدر السماء

يضع القمر على النهد الايسر والشمس على النهد الايمن

ويضحك بعد أن يضاجع الاميره

ليعش الآخرون .. دون شمس ودون قمر

صوت ٣ : خرجت النمل ـ يوما ـ تبحث عن المصير

عن الشمس والقمر والرغيف

فتصدى لها الحراس بالسياط والبنادق

سال الدم الابيض

أواه .. هل بقي للاشياء أي لون ؟

أصدقائي الطيبين .. صديقاتي الطيبات .

معذرة .. انها أغنية حزينة ، وقد وعدت نفسي بألا أرددهـا على مسمعي او مسمع غيري ، ولكنها خرجت هكذا .. من بطني .. تلقائيا ، دون ان اتمكن من السيطرة عليهـا او الحؤول دونها ودون الخروج ، ولكنني اظن انها تصلح كبداية تراجيدية لمسرحية مـــن نوع الكوميديا السوداء .

والآن لنرفع الستار .

المكان : غرفة صغيرة جدرانها مطلية باللون الاحمر ، خلف الطاولة يجلس رجل مقنع قد صبغ وجهه بالوان مختلفـــة .. انه المحقق . وامامه في الجانب الايمن يجلس رجل يرتدي نظارة سوداء كبيـــرة تخفي عينيه وحاجبيه ، ماسكا دفترا كبيرا وقلما مكسورا .. انـــه كاتب التحقيق . اما في الجانب الايسر فيجلس شخص آخر ، الذهول يكاد أن يخفي ملامح وجهه .. انه أنا ...

(الهدوء .. الهدوء .. ارجو من الانسة الجالسة في الصف الامامي أن تكف عن التقيؤ والسعال .. أعرف أن رائحة الغرفـــة كريهة ومنفرة ومثيرة للاشمئزاز والقرف والغثيان ، ولكنني التمس منكم الصمت والهدوء وضبط النفس . ان هذه الرائحة هي مزيـج من انفاس جثث آدمية ورائحة ساخنة لم تجف بعد) .

المحقق : ما هو اسمك ؟

أنـــا : .....

كاتب التحقيق (يكتب بصوت مسموع) : شجرة ذابلة فـــي مقبرة عارية .

المحقق : كم عمرك ؟

أنـــا : .....

كاتب التحقيق : خمس سنوات في الملاجىء . عشر سنوات نـوم

في المساجد ، والبقية ضياع وتشرد في الزابل . انه مقطوع من شجرة كما يقولون ، ولذا فهو يهوى جمع أعقاب السجائر .

المحقق : (ينهض من مقعده ويدور حولي ثم يقف خلفي واضعا يديه الثقيلتين على كتفيّ المنهارتين) : انت متهم (يصمت لحظة مفكرا) انت متهم بالشغب واثارة الناس على تخريب الشوارع، و...

كاتب التحقيق (مقاطعا) : واصابة امرأة حامل في بطنها عندما كنت تلعب الكرة مع الصبيان مما ادى الى موت الجنين .

أنا : (ذاهل اعصر الرؤيا بين رموش عينيّ ، لم يحدث هذا .. أبـــدا) .

كاتب التحقيق (يواصل) : والتهمة الاخيرة والخطيرة .. توزيع منشورات سرية تحرض الاطفال على ضرب كل غريب بطآ بقدمـــه أحياءكم القذرة .

المحقق (ما زال في موقفه) : ها انت تدرك الآن يا عزيزي ، ان المنافذ جميعها قد سدت، والتهم ثابتة ضدك . ولكي تتم الاجراءات على اكمل وجه ، نريدك ان تعترف خطيا .. (يهزني بعنف) .

أنـــا : اعترف بماذا ؟

المحقق : لا تتظاهر بالغبـــاء .. نريدك أن تعترف بصحـــة هذه التهم .

أنـــا : ولكنني لست مقتنعا !!

المحقق : ان طبيعة عملنا تحتم علينا دائما أن نقنع الآخريـــن بأنهم خاطئون ومتهمون . ونحن لم نتشلك من الفراش بعـد منتصف الليل اعتباطا ودون روية .

أنـــا : (بكت امي كثيرا ، واحتقن وجه ابي . ولكن الـدار لم تتهدم) .

المحقق (بعد أن عاد وجلس مكانه) : التهمة الاولى الشغب .. (يصمت لحظة) تسلقت سور المدرسة وكسرت نوافذ غرف التدريس، ولم تنس وانت في هياجك كثور اسباني .. ان تعتدي على مـدرس اللغة الدينية برميه بحجارة كبيرة فلقت جمجمته .

أنـــا : (كان عضوه التناسلي ينتصب حـــين يراقب أرداف التلاميذ الصغار) .

المحقق (يتابع) : التهمة الثانيـــة اثارة الناس على تخريب الشوارع واتلاف الاشجار الصناعية الموضوعة بعنايه على جانبـــي الشوارع الهامة ، مشوها بذلك المناظر الخلابة التي وهبتها الطبيعة لهذا البلد الامين .

كاتب التحقيق (يقف ، وبلهجة مسرحية يخـاطب الجمهور) : بلادنا ذات الوجه الحضاري المشرق ، لؤلؤة نادرة ثمينة تلمع فـي مياه الخليج ، المصانع ، المباني الفخمة ، القصور ، حدائق الاطفال والنساء ، مستشفيات للامراض العقلية ، السماء الصافية والربيع الدائم . ما أروع هذا ! لنصلّ للاله الاعظم آلف ركعة .

المحقق : التهمة الثالثة : اصابة امرأة حامل في ...
أنـــا (صارخا) : لم يحدث هذا .. انه افتراء كاذب .

المحقق (باستهانة) : لقد حدث يا عزيزي ، وهناك صـــور فوتوغرافية تثبت ذلك (يمد يده في درج الطاولة ويخرج صـــورا سلبية) ها هي الصور .

أنـــا (احدق مليا في الصور) : لا ارى شيئا .. سوى ظلال سوداء غير واضحة .

المحقق : بل انها واضحة وضوح الشمس في وقت الظهيرة .

كاتب التحقيق (يواجهني ويداه فوق كتفي يعصرهما) : مـاذا تظنها ؟ صورا جنسية مبتذلة ؟ ألا ترى حوض المرأة وقـــد انفجر الجنين فيه ؟ (يلتفت الى الجمهور ، وبنفس اللهجة المسرحيـــة السابقة) : الانسانية ستسجد ثلاله الاعظم طالبة الغفران للبشر الحمقى . وأعمدة السموات ستهتز استنكارا ورفضا لهذه الجريمة المروعة . ايها الناس .. يا أغبياء . ارجموا القتلة . اشنقوا كـل من يحاول تشويه وجه الكرة الارضية ووجه الله .

المحقق (يبدو متضايقا نوعا ما) : وأخيرا تهمة توزيع المنشورات السريـــة .

كاتب التحقيق (دون أن يأبه لمقاطعة المحقق له ، ويدور حـول نفسه) : من يجيد قراءة الكف . أين الفلكيّ العبقري ؟ ليته كـان معنا . برج الأسد ؟ لا . برج العقرب . الكوكب يدور . تتأرجـح كفتا الميزان (يؤرجح يديه كطائر) ماذا يقول المنجم ؟ هنا أيهـــا العبقري الفلكي (يدير ظهره للجمهـــور ويخاطب الجدار) تمخط قليلا . ينمو الجنين ويكبر ويدخل المدرسة ، وبعد أن يتخرج ، يظل عاطلا عن العمل مدة ثلاث سنوات ، ماذا ؟ ولكن عين الدولة ساهرة ، حريصة على مستقبل ابنـــائها . هذا حسن . يلتحق بالخدمـــة العسكرية .. وبعد ذلك ، يطارد الطلاب وبائعي المخدرات والخمـور (يدير وجهه الى الجمهور ويتشهد بارتياح ، ثم فجأة يصرخ غاضبا) ولكن الجنين مات يا عبقري . (ينتحب كطفل صغير) والقاتل يغسل يديه في احشاء الجنين . آوه . هذا فظيع ، انا لا احتمل رؤيـــة هذا المنظر . لا أحتمل حتى مجرد التفكير في امكان حدوثه .

المحقق (ينهض من مقعده عابسا وهو يصفق ، ثم يتجـه الـى كاتب التحقيق وباستياء يهنئه) رائع .. رائع . أهنئك من كـل قلبي ، لقد كان الاداء رائعا وعظيما (يربت على كتفيه في حيـــن

دراســات ادبيـــة

من منشورات دار الآداب

مذكرات طه حسين	د . طه حسين	٤٠٠
من ادبنا المعاصر	د. طه حسين	٢٥٠
سارتر والوجودية	د .م البيريس	٢٠٠
تجديد رسالة الغفران	خليل هنداوي	٢٥٠
سيمون دوبوفوار	فرانسيس جانسون	٦٥٠
بابا همنغواي	أ . ا . هوتشنز	٦٠٠
الادب المسؤول	رئيف خوري	٤٠٠
اصوات غاضبة في الادب والنقد	رجاء النقاش	٢٥٠
وتبقى الكلمة (دراسات نقدية)	صلاح عبدالصبور	٢٥٠
بيـن آدم وحـواء	د . زكي مبارك	٢٥٠
التكسب بالشعر محمود احمد السيد	د . جلال الخياط	٢٥٠
رائد القصة الحديثة في العراق	د. علي جواد الطاهر	٤٠٠
مشكلة الحب	د . زكريا ابراهيم	٥٠٠
شخصيات من ادب المقاومة	سامي خشبة	٢٥٠

أحنى الآخر رأسه تواضعا وخجلا) أخيرا تمكن المسرح العقيم من انجاب أفضل قدمين .

أنا (أنهض نافضا ثيابي وأقف في منتصف المسرح ، ارفع يدي اليمنى المضمومة ببطء وأدنيها من فمي كميكروفون . يلاحظان ذلك فيعودان مسرعين الى أمكنتهما) .

المحقق : الجمهور نائم ، لا توقظه .

كاتب التحقيق : الاسلاك الكهربائية مقطوعة . آلات التسجيل موزعة تحت مقاعد المتفرجين .

أنا (كشاعر يلقي قصيدة هادئة في امسية شعرية) : ينهض الانسان بعد غفوة عميقة . كأن انخنجر مزروعا في صدره . سأل الله . تضايق الله ولم يعرف الجواب .

المحقق (هامسا) : من الاخوان المسلمين ؟

أنا : مات غيغارا وهو يحاول نزع انخنجر المسموم . متى يتخلى الله عن كبريائه وينزل عن عرشه ليقبل اقدام الفقراء والشهداء ؟

كاتب التحقيق (هامسا) : لا .. انه شيوعي .

المحقق (يناديني) : انت يا ...

كاتب التحقيق : يا شيوعي .

المحقق : انت متهم بالشيوعية ، ولدينا الادلة القاطعة التي تثبت ذلك .

أنا : آه لو تندثر الاحرف التي تخلق اسم الله . آه لو تموت كلمة الله وتسيل على شفاه الشحاذين كاللعاب الذي يتقطر من أفواه الجائعين . (لو) تحدث المعجزة الكبرى وعاشت الانسانية .

المحقق : ماذا تفضل ؟ الكرسي الكهربائي ؟ المقصلة ؟ الشنق ؟ دعك العين بالقنابل المسيلة للدموع ؟

كاتب التحقيق : قطع الشرايين بالموسى ؟ القنبلة الذرية ؟ الهيدروجينية ؟ أشعة الليزر ؟

أنا : الارواح الشريرة تحلق في أجواء هذا العالم ، تقتل العصافير . وتتقطر دماء مارتن لوثر كنغ على لوحة اسمها «السلام» .

كاتب التحقيق : انه يهذر كسبا للوقت .

المحقق : منذ ثلاث ساعات وانا ابحث عن عذر لائق للتأخر تقتنع به زوجتي . وهذا العنيد لا يريد أن يعترف .

كاتب التحقيق : أخبرها ـ كالعادة ـ بأنك قد لقيت مشقة كبيرة في نزع رموش عيني أحد المساجين ، او ان عظام الانف كانت شديدة الصلابة الى درجة أن بضعة قطرات من العرق قد سالت من ابطيك ، او ....

المحقق (مقاطعا) : كفى .. كفى . انها لن تصدق . لقد وهبها خالقها حاسة قوية تشم بها الكذب على بعد ميلين .

أنا : المخالب الحديدية تحفر صدر الطفل . يتلوث المهد . لا سلام ، لا حب . حقد أسود ودم أحمر .

الغرباء يسممون آبار بلادي
يدوسون وجه بلادي
يسرقون إسم بلادي
وعلى جدران بلادي ترتفع اللافتات السوداء :

لا توجد وظائف شاغرة .. في بلادي

كاتب التحقيق : تلك الفاجرة المتعجرفة ، ذات الوجه المشوه بالدمامل والنمش .

المحقق (صارخا بغضب) : اخرس .. انها زوجتي .

كاتب التحقيق (صارخا ايضا) : أعرف انها زوجتك .. وهو لن يعترف .

أنا : الاسعار ترتفع . الارز ، السمك ، العدس . الفرد يدفع للحكومة مقابل البلدية والكهرباء والماء ، دون أن يدرك انه يدفع ايضا ثمن الرصاصة التي ستثقب صدره وبفجر شرايينه ، عندما يشعر بأن الوقت قد حان ليتكلم ويدين . انها الحقيقة المؤلمة . من لا يملك كسرة خبز يتعرض للاعتقالات العفوية .

المحقق : اذن سيعترف بالقوة (يصفق بيديه ثلاث مرات) هذا الجرذ اللعين ، سأجعله يتلوى أمامي كنعجة لم يحسن القصاب قطع رقبتها . سأدق عنقه حتى يتدلى لسانه ويلفظ أمعاءه .

كاتب التحقيق : عذر لا بأس به لفاجرة .

المحقق (بغضب) : انها زوجتي .

كاتب التحقيق (بغضب) : وهي أختي أيضا .

(يدخل شرطيان من المرزفة ، ويبدءان بنزع ثيابي . أقاوم ، ولكن مقاومتي تتخاذل امام القبضات القوية . يقف المحقق ويتقدم مني ممسكا بيده قضيبا ساخنا . أحاول أن افلت من قبضات الشرطيين ولكن دون جدوى . أشعر برائحة لحم مشوي يتسلل الى أنفي ويخدر اعصابي ، يرقص القضيب على جسدي العاري .. يحرقني . أكاد أفقد وعيي .. أتماسك ، ابلل شفتيّ بلعابي الجاف . أظافري تنفلت من لحم اصابعي . تقتلع بقسوة .. آه .. سيوف تمزق احشائي . تتحول خشبة المسرح الى بركة من الدماء . جنكيز خان يلعق بلسانه اثداء الجواري في اتبحر الميت ، وتمثال الحرية الاميركي يغوص في اوحال فيتنام . أتمنى أن ابكي . ان اغسل بدموعي كل آلامي . أصوات بعيدة تخترق الضباب . انهيار تام . أذوب .. أذوب .. أذوب .....)

أصدقائي الطيبين .. صديقاتي الطيبات .

لم أمت .. يرونني الآن مرميا على خشبة المسرح ، فاقد الوعي دون حراك ، يمسح المحقق العرق المنساب من ابطيه ، ويعود الى مكانه بعد أن يرفسني في بطني . يخرج الشرطيان .

كاتب التحقيق : لم يعترف بعد .

المحقق (يلهث) : لا قيمة لاعترافه . بامكاننا أن نزور توقيعه . هيا ابدأ في كتابة الاعتراف .

كاتب التحقيق : وماذا سنفعل به ؟

المحقق : لقد سألناه عن الطريقة التي يفضلها ولكنه لم يخبرنا. انها ـ فعلا ـ مسألة صعبة ، ان تختار الطريقة التي تفضلها للانتقال الى العالم الآخر .

كاتب التحقيق : الاعدام غير مسموح به قانونيا في هذه المنطقة .

المحقق : هذا سيىء للغاية . النفي ، خمسة عشر عاما . لا ، عشرة اعوام . الرحمة فوق القانون . القاضي يتثاءب وهو يصدر الحكم ـ المسرحية في المحكمة والمحكمة في المسرحية ، والقاضي هو الذي ينهي المسرحية والقضية معا . قبل عملية النفي الى تلك

أهل الكهف

(غيـاب)

تمرّ العصور الخبالى ،
يضيق بنا الكهف ، نغفو
يقاتلنا الخوف ذات اليمين وذات الشمال
وتمتص اجسادنا هوّة الصمت ،
يرسب طين القرون بأعماقنا ..
كلّ يوم من القاع ننهض ، نلتمّ ..
نصغي لوقع خطى الغد ..
نصغي لصوت ألفناه بعد الهروب الاخير :
« يعود زمـان الخوارق ..
تهتزّ كل الكهوف
تلوح لدرب الخلاص على كل ارض علامه
وتبقون في كهفكم نائمين ..
وقطمير (١) يبسط فوق الوحيد ذراعيه ..
ينبح .. ينبح ، حتى تقوم القيامة »

★★★

وقبل اختيـار الغيـاب ..
سقطنا تماثيل في البقاع ..
خدّرنا نومنا الابدي
وفي ليلة من ليالـي السبات . .
افقنـا على شبح ..
يستظلّ بأوجهنا ، يملأ الكهف ..
قلنا : هو الغد ، قلنا : هو الامس ،
حاصرنا الوهم ، طال الجدار ، انتظرنا
تقاصر ظل خطانا ، وسافت مخالبنا ،
فارتدينا ثياب الغياب .. ونمنا

★★★

(رؤيـا)

رأينا مرة في نومنا الابدي اجيالا من الفقراء ..
يلتموّن حول الكهف ، يحترقون جوعا ..
مرة ذاب الجليد ، تداعت الجدران ،
وامتدّت يد اللـه ،
انفلتنا فوق أرض اللـه ،
ارض الله كانت ارض دقيانوس (٢)
دقيانوس ملجأنا ومنفانـا

★★★

رأينا مرّة في نومنا الابدي اجيالا من الفقراء ..
فوق بلاط دقيانوس تذبح ،
نستحيل جداولا حمراء ...
كنا نحن فوق بلاطه الدمويّ ،
كنّا ـ آه دقيانوس ـ منك اليك نهرب ،
لم ننم في الكهف يوما واحدا او بعض يوم ..
كنتَ انت الكهفُ ..
نمنا في عروقك منذ بدء الكون حتى الان ،
شاخ وراءنا خطوُ العصور ..
ونحن نحلم ان تمرّ على بقايانا خطى الانسان

الموصل (العراق) **معد الجبوري**

(١) قطمير : الكلب الذي كان يحرس اهل الكهف .
(٢) دقيانوس : الملك الظالم الذي هرب منه أهل الكهف .

الجزيرة ، ينبغي أن تستعد ونتخـذ الاجراءات اللازمة . يجب ان نضاعف عدد الحراس ، المرتزقة . لكل فعل رد فعل . لا بأس اذا ارتفعت نسبة الضرائب . بلدية ، كهرباء ، ميناء . الناس سيدفعون، يكفي ان نمسح على ظهر القطة حتى تنام .

كاتب التحقيق (يتوقف عن الكتابة قليلا ريثما يلتقط انفاسه)

المحقق : سنعرض هذا التحقيق امام الجمهور . نحن المحافظون على أمن هذا البلد ، نقدم لهم مادة شهيـة تستسيغها السنتهـم الثرثارة . قبل أن يصدر القاضي الحكم ، وهو في سبات عميق من النوم ، نستمع الى الشهود . (يلتفت الى كاتب التحقيق) هل تم تدريب الشهود الآليين ؟

كاتب التحقيق (يهز رأسه) : نعاما .

المحقق : رائع . يقف القاضي على يديه ويستمع الى الحيثيات. متآمر يخدش بأظافره وجه بلادنا . الصحف تنشر . تكتب باليمين وتأخذ باليسار . والاذاعة . لا .. سأعات الارسال قليلة . يكفـي برنامج ما يطلبه المستمعون . ماذا هناك ايضا ؟

كاتب التحقيق (يخلع نظارته الكبيرة ويرفع رأسه تجـاه السقف ، فتعكس المرآة الموجودة هناك ـ حفرتان عميقتان . انهما العينان ولكن بدون أحداق او رموش . يخفض رأسه ويعيد نظارته الى مكانها ثم ينتحنح) :

سيداتي وسادتي .. هنا اذاعة المحافظين عنى امن هذا البلد . هنا صوت اميركا والمثلث المقدس والعتبة الخضراء . هنا . نعيش.. نعيش .. نعيش ، ويموت الآخرون .

المحقق (يصفق ثم ينهض . يتقـدم اليه ويصافحه بحرارة . يغادران المسرح . وبعد فترة قصيرة يدخـل الشرطيان ويجرانـي خارج المسرح) .

(يتمزق الستار وتتساقط الخيوط على خشبة المسرح)

البحرين **امين صالح**